المحاضرة رقم (4): عوامل العنف المدرسي

نرى أن لكل شيء سبباً ودافعاً، ولا يختلف الأمر بالنسبة للعنف، فله أسبابه ودوافعه والإحاطة بهذه الأسباب والدوافع تسهل من عملية فهم الظاهرة، وإيجاد العلاج المناسب لها، ودرء مخاطرها؛ إذ إن معظم المجتمعات – دون استثناء – أصبحت تعاني من هذه الظاهرة في مختلف مؤسساتها، وفيما يلي سنتعرض لأهم العوامل المتسببة في انتشار العنف في الوسط المدرسي:

1– العوامل المدرسية:

أ. عومل بيداغوجية:

– المنهج الدراسي :تعتبر المناهج الدراسية مصدرا خصبا من مصادر العنف المعنوي، كيف لا وما تحدث في اغلب الأحيان هو الاكتفاء بترجمتها بعد استرادها ثم فرضها بطريقة تعسفية على الطلاب، ونتيجة لذلك فان معظم محتويات تلك المناهج لا تلبي احتياجات المتعلمين ولا تلائم استعداداتهم وقابليتهم.

فكيف لهذه المناهج أن تفرز احتقان الطلاب وتدمرهم؟ كما أن ما لا يجب إغفاله هو أن هذه المناهج تفرض كذلك على المدرسين، بغض النظر عما يحملونه من قناعات واعتقادات وتحفظات، مما يقلل من حماسهم ويضعف رضاهم عن مهنتهم، ولما لا قد يصبح العنف هو الحل البديل؟

–التلقين كأداة أساسية في التعليم :غالبا ما يرتبط التلقين بغياب أهمية الإقناع والتركيز على العنف ومنه العقاب بأنواعه المادي والمعنوي، المصرح وغير المصرح.

وان كان يعتقد إن التلقين طريقة اقتصادية فعالة حيث لا تنجح طرائق أخرى، إلا أن التلقين كثيرا ما يمارس من خلال علاقة تسلطية، سلطة المعلم لا تناقش، حتى أخطاؤه لا يسمح بإثارتها وليس من الوارد الاعتراف بها، بينما على الطالب أن يطيع ويمتثل، ولا شيء يضمن امتثاله فقد يولد ذلك أوجه عديدة من السلوك العنيف .هذا ما يفصح عنه السيوطي في قوله ":إن التلقين طريقة تدريس قد تعمق التسلط وتغرس الاستبداد ويستخدمها بعض من المعلمين كسوط"، فاعتماد بعض المواد على الإلقاء وغياب الديناميكية يلجأ فيها التلميذ إلى التشويش.

بالإضافة إلى استعمال أساليب بيداغوجية غير مناسبة، واعتماد مناهج دراسية قديمة لا تتماشى ومتطلبات العصر، وعدم وجود لجان بيداغوجية لمتابعة التلاميذ، نقص البرامج الثقافية والترفيهية للمؤسسة التعليمية.

ب .أسباب تعود إلى المدرسين:

ككثرة الغياب في أوساط المعلمين، الأمر الذي يؤدي إلى ضرورة استخلافهم بمدرسين آخرين، وهذا بدوره يؤدي بالتلاميذ إلى الخروج عن النظام في الصف، وسيساعد على ازدياد الفوضى والتمرد داخل المؤسسة التربية ككل، إضافة إلى سلوكات بعض المدرسين غير المسؤولة.

ج .أسباب تعود إلى التلاميذ :

كطبيعة التنشئة الاجتماعية، الوقع تحت تأثير المخدرات، الإحساس بالظلم والتعويض عن الفشل، الاختلاط برفاق السوء، وسهولة الحصول على السلاح، والتأثر بأفلام ومسلسلات العنف.

د .أسباب تنظيمية :

كغياب اللجان التأديبية في حالة وقوع تجاوزات وعدم التعاون والتنسيق بين جمعيات أولياء التلاميذ وإدارة المؤسسة.

هـ .أسباب قانونية :

كعدم وجود قوانين ولوائح واضحة تحكم عمل المؤسسات التربوية والافتقار إلى أنظمة تعالج مسائل الخلاف بين الأطراف الفاعلة في المؤسسة التربوية(الأساتذة، التلاميذ، الإدارة)

و .أسباب أمنية :

كعدم وجود رجال امن المؤسسة التربوية أو نقص كفاءاتهم، أو عدم كفاءتهم مقارنة بحجم المؤسسة وعدد التلاميذ.

وهناك عوامل أخرى تتمثل في:

- ✓ طرق التقويم المتبعة والتي ترجح التقييم الاختباري عبر المواد وتهمل التعديل السلوكي والتركيز على جوانب الضعف عند الطالب والإكثار من انتقاده، ولا تعطي فرصة للجميع بالتعلم والنجاح بل تولد أحيانا المنافسة السلبية والإحباط والعدوان .
- ✓ تغير مفهوم النجاح: النجاح في الدراسة لم يعد وسيلة للنجاح في الحياة
- ✓ كثرة التغيب عن الدروس.
- ✓ اختلال التوازن بين التعليم والتربية.
- ✓ زوال القدوة التعليمية : المتغيرات الاقتصادية التي يواجهها كل من الطالب والمدرس، وانتشار ظاهرة الدروس الخصوصية التي أفقدت المعلم هيبته وأصبح أداة في يد الطالب وولي الأمر، ما أثر على صورته لدى الطالب و أدى إلى انهيار نموذجه كقدوة.
- ✓ قلة التنشيط الثقافي و الرياضي.
- ✓ قسوة المعلمين واستخدامهم للعقاب .
- ✓ إدارة مدرسية تسلطية .
- ✓ ممارسة العنف من قبل المعلمين أمام الطلبة سواء تجاه بعضهم البعض أو تجاه الطلبة
- ✓ ضيق المكان حيث أن المساحة المحدودة تولد التوتر النفسي والاحتكاك البدني .
- ✓ إهمال الوقت المخصص لحصص الأنشطة البدنية.
- ✓ عدم توافر الأنشطة المتعددة والتي تشبع مختلف الهوايات والميول .
- ✓ استخدام الأسلوب التقليدي في التدريس القائم (تقيد حركة الطلبة في الحصة – الحفظ والتسميع – عدم توافر الأنشطة – الطالب متلقي فقط – استخدام العقاب كوسيلة تربوية وغيرها من الأساليب التقليدية) .
- ✓ وجود مدرسة في منطقة مهملة أوحدودية أو محاطة بوسط اجتماعي مفكك .
- ✓ الروتين والمناخ المدرسي المغلق يساعد على عدم الرضا والكبت والقهر والإحباط، مما يولد تصرفات عنيفة عند الطلاب .
- ✓ عدم وضوح القواعد والضوابط التي تحدد قواعد السلوك المرغوب والسلوك غير المرغوب بشكل واضح .
- ✓ تعزيز سلوك العنف من قبل الطلبة فالطفل الذي يمارس العنف ويشجعه الطلبة قد يميل إلي تبني هذا السلوك خصوصا في ظل عدم المحاسبة أو تعديل السلوك .
- ✓ عدم وجود فريق عمل متخصص يعمل على دراسة ظاهرة العنف والتعامل معها بشكل مخطط من خلال (الجانب الوقائي : حصر الطلبة الذين يعيشون تحت الضغط والذين من الممكن أن يطوروا سلوكيات عنيفة – الجانب النمائي : تنمية الجوانب الإيجابية في شخصية التلميذ والتركيز على التعزيز – الجانب العلاجي : وضع الخطط والبرامج الإرشادية التي تساعد في التخفيف من العنف) .

2- العوامل الأسرية:

تعتبر الأسرة المصدر الأساسي للعنف المدرسي فالسنوات الأولى من حياة الطفل هي السنوات التي تحدد الإطار العام للشخصية الإنسانية، وأكدت نتائج مجموعة من الأبحاث أن الأسرة تحتل المركز الأول بين مؤسسات التنشئة الاجتماعية، من حيث درجة تأثيرها على ممارسة الأطفال لسلوك العنف، ثم يأتي بعد الأسرة من حيث التأثير وسائل الإعلام، ثم جماعة الأقران، ثم المدرسة وهذا الترتيب على التوالي، وبالتالي فالتنشئة الاجتماعية يمكننا اعتبارها من أبرز المتغيرات الاجتماعية التي لها صلة بالسلوك العنيف بمعناه الواسع، فهناك علاقة وثيقة بين أسلوب التنشئة الذي يتلقاه الطفل في المحيط الأسرة واحتمالات قيامه بأفعال العنف حتى في المستقبل، ويمكن أن نوجز العوامل الأسرية فيما يلي:

- أساليب التنشئة الخاطئة مثل (القسوة – الإهمال – الرفض العاطفي – التفرقة في المعاملة.

– تمجيد سلوك العنف من خلال استحسانه، القمع الفكري للأطفال من خلال التربية القائمة على العيب والحلال والحرام دون تقديم تفسير لذلك-التمييز في المعاملة بين الأبناء)

- فقدان الحنان نتيجة للطلاق أو فقدان أحد الوالدين
- الشعور بعدم الاستقرار الأسري نتيجة لكثرة المشاجرات الأسرية والتهديد بالطلاق
- عدم إشباع الأسرة لحاجات أبنائها المادية نتيجة لتدني المستوى الاقتصادي
- كثرة عدد أفراد الأسرة فلقد وجد من خلال العديد من الدراسات أن هناك علاقة بين عدد أفراد الأسرة وسلوك العنف
- بيئة السكن فالأسرة التي يعيش أفرادها في مكان سكن مكتظ يميل أفرادها لتبني سلوك العنف كوسيلة لحل مشكلاتهم.

يتبين مما سبق بأن الأسرة لها دور هام في تنشئة أبناءها تنشئة سليمة وغرس القيم والأخلاق من خلال السلوكيات والتصرفات، ومن خلال تقوية جهاز الضبط الداخلي لديهم من أجل أن يكونوا قادرين على مواجهة أحداث الحياة الضاغطة.

فالأسرة تلعب أدوار مهمة في مراحل حياة أبناءها، فمعظم الأسر التي لا يكون لدى أبناءها المقدرة على التكيف مع متغيرات الحياة، وعدم القدرة على تحقيق ذواتهم يلجؤون إلى العنف كوسيلة للهروب من واقعهم الأسري والاجتماعي الصعب من ناحية، ومن ناحية أخرى من أجل إثبات ذاتهم وإعطاء أنفسهم هوية ذاتية مميزة عن الآخرين، كما يجدر الإشارة هنا إلى أن المستوى الثقافي والاجتماعي لهذه الأسر يلعب دورا هاما في ثقافة العنف لدى الأبناء، كما أن العامل الاقتصادي لهذه الأسر والذي انعكس بصورة مباشرة على الأفراد، فرب الأسرة العاجز عن توفير أدنى متطلبات المعيشة لأبنائه وقضاء احتياجاتهم اليومية، لا بد أن ينعكس هذا الضيق المادي والنفسي على تصرفاته وسلوكياته، وبالتالي فإنها تنعكس على الأبناء بصورة مباشرة مما يتم تفريغ هذه الانفعالات من خلال العنف والعدوان فيلجؤون إلى سلوكيات منحرفة مثل الإدمان، السرقة والاعتداء على الآخرين وغيرها.

3- العوامل النفسية:

- الإحباط فعادة ما يوجه العنف نحو مصدر الإحباط الذي يحول دون تحقيق أهداف الفرد أو الجماعة سواء كانت مادية أو نفسية أو اجتماعية أو سياسية
- الحرمان ويكون بسبب عدم إشباع الحاجات والدوافع المادية والمعنوية للأفراد مع إحساس الأفراد بعدم العدالة في التوزيع
- الصدمات النفسية والكوارث والأزمات خصوصا إذا لم يتم الدعم النفسي الاجتماعي للتخفيف من الآثار المترتبة على ما بعد الأزمة أو الصدمة

– النمذجة فالصغار يتعلمون من الكبار خصوصا إذا كان النموذج صاحب تأثير في حياة الطفل مثل الأب أو المعلم

– تعرض الشخص للعنف فالعنف يولد العنف بطريقة مباشرة علي مصدر العدوان أو يقوم الشخص المعنف بعملية إزاحة أو نقل على مصدر أخر.

– تأكيد الذات بأسلوب خاطئ (تعزيز خاطئ) من قبل الذات أومن قبل الآخرين

– حماية الذات عندما يتعرض الشخص للتهديد المادي أو المعنوي

– حب الظهور في مرحلة المراهقة خصوصا إذا ما كانت البيئة الاجتماعية تقدر السلوك العنيف وتعتبره معيارا للرجولة والهيمنة

– وقت الفراغ وعدم وجود الأنشطة والبدائل التي يمكن عن طريقها تصريف الطاقة الزائدة .

— شعور الفرد أو الأفراد بالاغتراب داخل الوطن مع ما يصاحبة من مشاعر وأحاسيس نفسية واجتماعية حيث وجد في العديد من الدراسات أن هناك علاقة بين العنف والاغتراب .

– غالبا ما يصدر العنف عن الأفراد الذين يتسمون بضعف في السيطرة علي دوافعهم عند تعرضهم للمواقف الصعبة مما يؤدي لسلوك العنف .

4– العوامل البيئية:

– الفقر والحرمان في بعض الجهات والأحياء.

– جذور المجتمع المبني على السلطة الأبوية ما زالت مسيطرة، فنرى على سبيل المثال أن استخدام العنف من قبل الأب أو المدرس هو أمر مباح ويعتبر في إطار المعايير الاجتماعية السليمة، وحسب النظرية النفسية–الاجتماعية، فإن الإنسان يكون عنيفاً عندما يتواجد في مجتمع يعتبر العنف سلوكاً ممكناً مسموحاً ومتفقاً عليه.

– النظرة التقليدية القائمة على تمجيد التلميذ الناجح والتقليل من شأن التلميذ الفاشل دراسيا... هذه المقارنة التحقيرية والدونية تولد سلوكا عنيفا و إحباطا.

– مناخ اجتماعي يتسم بغياب العدالة الاجتماعية.

– عدم وضوح الرؤية للمستقبل.

– كثرة البطالة و خاصة بطالة أصحاب الشواهد وانسداد الأفق

— غياب السياسات الاجتماعية الناجعة في الجهات والأحياء المهمشةو كذلك التخطيط الفعال

–عدم وجود سياسات منظمة لأوقات الفراغ و طرح الأنشطة الترفيهية البديلة

– ضعف وسائل الإرشاد والتوجيه الاجتماعي.

– المستوى السوسيو–اقتصادي لبعض الأسر الفقيرة يجعل التلميذ يشعر بالنقص والحرمان بين أقرانه، وهذا يدفعه إلى الإحساس بالكراهية والحقد تجاه الآخر الذي هو أحسن منه حالا، ويولد تصرفات غريبة تسوقه إلى اقتراف بعض الممارسات العنيفة

5– العنف في وسائل الاعلام:

نظرا للدور الذي تلعبه وسائل الإعلام في نشر ثقافة العنف وخاصة الإعلام المرئي من خلال الأفلام والمسلسلات التي تبث يوميا، بالإضافة إلى العديد من القنوات الفضائية التي تساهم هي الأخرى في تشكيل خليفة العنف لدى التلاميذ.

وهكذا يتبين أن تفسير إشكالية العنف في المؤسسات التربوية لا يمكن أن يعود فقط إلى التصميم المادي للمدرسة، أو إلى سلوكات مدرسيها، أو إلى برامجها غير المناسبة، لكن يعود أيضا وبشكل أساسي إلى المجتمع ومؤسسات الاجتماعية كالأسرة، ووسائل الإعلام وجماعات رفاق السوء، باعتبار إن هذه المؤسسات هي سابقة عن المدرسة ومتزامنة معها.

وبالتالي ينتقل العنف من المجتمع إلى المدرسة وتصبح المدرسة تتحمل أعباء الخلافات الأسرية، ومشاكل الشارع وما فيه من آفات، أخطاء وسائل الإعلام التي تساهم يوميا من خالا قنواتها الفضائية في ترسيخ ثقافة العنف لدى الأطفال والشباب.

مما سبق نجد أن الأساليب التربوية والبيداغوجية المعتمدة حاليا والتي ظهر بالملموس عدم نجاعتها وانعكاس ذلك على مستوى التلاميذ، وجه اهتمامهم إلى وسائل الاتصال الحديثة من فضائيات وإنترنت و تطبيقات الجوال وغيرها، وهو ما جعلهم يتابعون مظاهر عنف و انحلال أخلاقي من مجتمعات أخرى، مما نتج عنه هذا التصادم ورفض الواقع المدرسي وحتى الاجتماعي الذي يعيشون داخله، و يبدون نوعا من التطاول على الجميع، وصل حد العنف.. وهذه الصورة قد غذاها أيضا مظهر انسلاخ الوسط العائلي أي الأولياء من متابعة أبنائهم في حياتهم المدرسية اليومية وعدم مراقبتهم بشكل متواصل ودقيق.

وبصفة عامة يتفق الباحثون على عدم وجود سبب واحد لحدوث العنف المدرسي وإنما هي عدة عوامل متشابكة تتفاعل في سياق اجتماعي وثقافي محدد، ومنها:

1/ مجموعة أسباب تعود إلى المؤسسة التربوية نفسها، من ذلك تصميم المؤسسة أو أبنائها، وازدحام الفصول الدراسية، ونقص المرافق الضرورية وقلة وانعدام الخدمات.

2/ مجموعة الأسباب التي ترجع إلى المعلمين من ذلك كثرة غيابهم، أو انتهاجهم للعنف، أو تسيبهم وتراخيهم مع التلاميذ وسلوكيات بعض المعلمين التي قد تكون غير لائقة.

3/ مجموعة الأسباب التي تعود على التلاميذ أنفسهم، من ذلك عملية التنشئة الاجتماعية التي مر بها الطفل، والاحباطات والانفعالات ومخالطة أقران السوء، ومشاهدة أفلام العنف وتقليده.

4/ أسباب تربوية لمتابعة التلاميذ غير مناسبة وتطبيق منهاج ومقررات دراسية قديمة لا تفن بمطالب العصر، وعدم وجود لجان تربوية تتابع التلاميذ، ونقص البرامج الثقافية والترفيهية.

5/ مجموعة أسباب تنظيمية كعدم وجود لجان لتأديب الطلاب وعدم توفر التعاون بين المدرسة وأولياء الأمور.

6/ مجموعة الأسباب القانونية كعدم وجود قوانين واضحة تحكم العمل داخل المؤسسات التربوية، وعدم معالجة ما قد ينشب من خلافات بين عناصر العملية التعليمية، وغياب الردع والعقاب.

7/ مجموعة الأسباب الأمنية، من ذلك عدم وجود رجال أمن بالمؤسسات التربوية بصورة كافية أو قلة تدريبهم.

8/ أسباب إعلامية، من ذلك نشر ثقافة العنف من خلال الأفلام والمسلسلات العنيفة، وخاصة ما تبثه بعض الفضائيات.

وعلى ذلك فالمسؤولية عن العنف المدرسي مسؤولية جماعية أو مجتمعية، ولا تعد المدرسة وحدها هي المسئولة عنها، ومؤسسات المجتمع سابقة على المؤسسة التربوية ومتلازمة معها في التأثير على شخصية الطالب.